1 ـ فيساريون غريغوريفيتش بييلينسكي (1811 ـ 1848) ، نيقولاي غافريلوفيتش تشرنيشيفسكي (1828 ـ 1889) ، نيقولاي الكسندروفيتش دوبروليوبوف (1836 ـ 1861) ، ودميتري ايفانوفيتش بيساريف (1840 ـ 1868) اربعة نقاد روسيين من القرن التاسع عشر . للتعريف بهم نكتفي هنا بقول انهم كانوا مثقفين ديمقراطيين ثوريين تعنى اثر كتاباتهم صفحات المجلات ، ونقاشات المنتديات الادبية ، ليشمل مجتمعا برمته ، وليسهم ، من ثم ، في تغييره نحو الافضل .

واذ نترجم اليوم الى العربية نصوصا نقدية لاثنين منهما فان ذلك لا يتم فقط لقيمتها التاريخية ، وانما للاهمية التي نعتقد ان تجربتهما تكتسيها بالنسبة للمرحلة الراهنة من تطور الثقافة العربية بالمغرب : فالمشاكل المطروحة هنا وهناك تكاد تكون متماثلة ، كما ان الحل الذي اعطاه هؤلاء لها حل بالغ الصواب والعمق ، يغوص في تربة ارضه بقدر ما يستفيد من جماع التجربة النظرية الانسانية ، فلا يفصله تنظير مجرد عن الواقع ، ولا يعزله انغماس تجريبي في «الواقع الخاص» عن ارتباط بغيره من التجارب السابقة واللاحقة .

نضيف الى ذلك ان اغراق اغلب المدارس النقدية الغربية الحالية في الشكلية وفي الابحاث ذات الطابع «المعرفي» المحض ـ وهي تمارس ما تمارسه من التاثير على العمل النقدي العربي ، بالمغرب خاصة ـ ، يجعل ضروريا ان نعود ، مرة مرة ، الى الاصول ، فنتذكر ان الاساس الذي ينبغي ان تدور حوله كل الانشطة الانسانية (نظرية كانت ام عملية) ، لكي تصبح فعالة ومثمرة ، هو الانسان نفسه ، هو هذا الكائن المجتمعي ـ من لحم ودم ـ العامل على الانعتاق من العبودية الاجتماعية والضرورة الطبيعية ، وهو العمل على السير به نحو مجتمع اكثر عدالة وحرية ومساواة .

2 ـ وتجدر الاشارة هنا الى انه رغم ضيق مجال اختيارنا للنصوص النقدية ـ اذا اعتمدنا في نقلها الى العربية على الترجمة الفرنسية لـدراسات «مختارة» من اعمال الناقدين ـ فقد حاولنا ، مع ذلك ، ان تكون معبرة ـ الى اكبر حد ممكن ـ عن وجهة نظر اصحابها متكاملة .

هكذا اخترنا رسالة بييلينسكي الشهيرة الى غوغول ، التي كتبها على اثر نشر هذا الاخير لمؤلفه «مختارات من رسائل الاصدقاء» متنكرا فيه لكل كتاباته السابقة ـ وعلى راسها «المفتش» و «الارواح الميتة» ـ وداعيا الى مصالحة مع الواقع الاستبدادي الروسي ، تمر عبر انكفاء على الذات واغراق في الروحية والتصوف .

كما اخترنا له المقال الاول من دراسته المطولة «لمحة عن الادب الروسي سنة 1847» ، التي كتبها قبيل وفاته ، فجاءت بذلك معبرة عن زبدة آرائه النقدية ـ الادبية ، والاجتماعية الفكرية بوجه عام .

اما تشرنيشيفسكي فقد اخترنا له آخر مقطع من «مقالات عن الحقبة الغوغولية في الادب الروسي» ، وهي مقالات ثمانية لم ينشر منها في الترجمة الفرنسية سوى اربعة مقاطع ، الاول والثاني ينتميان الى المقال الاول ، والاخران الى المقال الثامن ـ ، وقد اخترنا هذا المقطع ، رغم قصره ، لانه يعبر ، في راينا ، عن جزء كبير من آراء هذا الناقد .

وقد كان بودنا ان نترجم ايضا نصوصا لدوبروليوبوف وبيساريف ، لولا ان اجودها هو اما تطبيقي على اعمال ليست معروفة بعد بشكل واسع بالعربية ، واما مفرط في الطول ولا يمكن تقطيعه ، وبالتالي لا يمكن نشره في مجال محدود هو صفحات هذه المجلة .

الا انه امر نتمنى ان نتمكن من التغلب عليه مستقبلا ، فنكمل بذلك تعريف القارىء العربي على ذلك الجزء القيم المجهول ، بالنسبة له ، لحد الآن من التراث الفكري الانساني الروسي للقرن التاسع عشر .

« المترجـم »